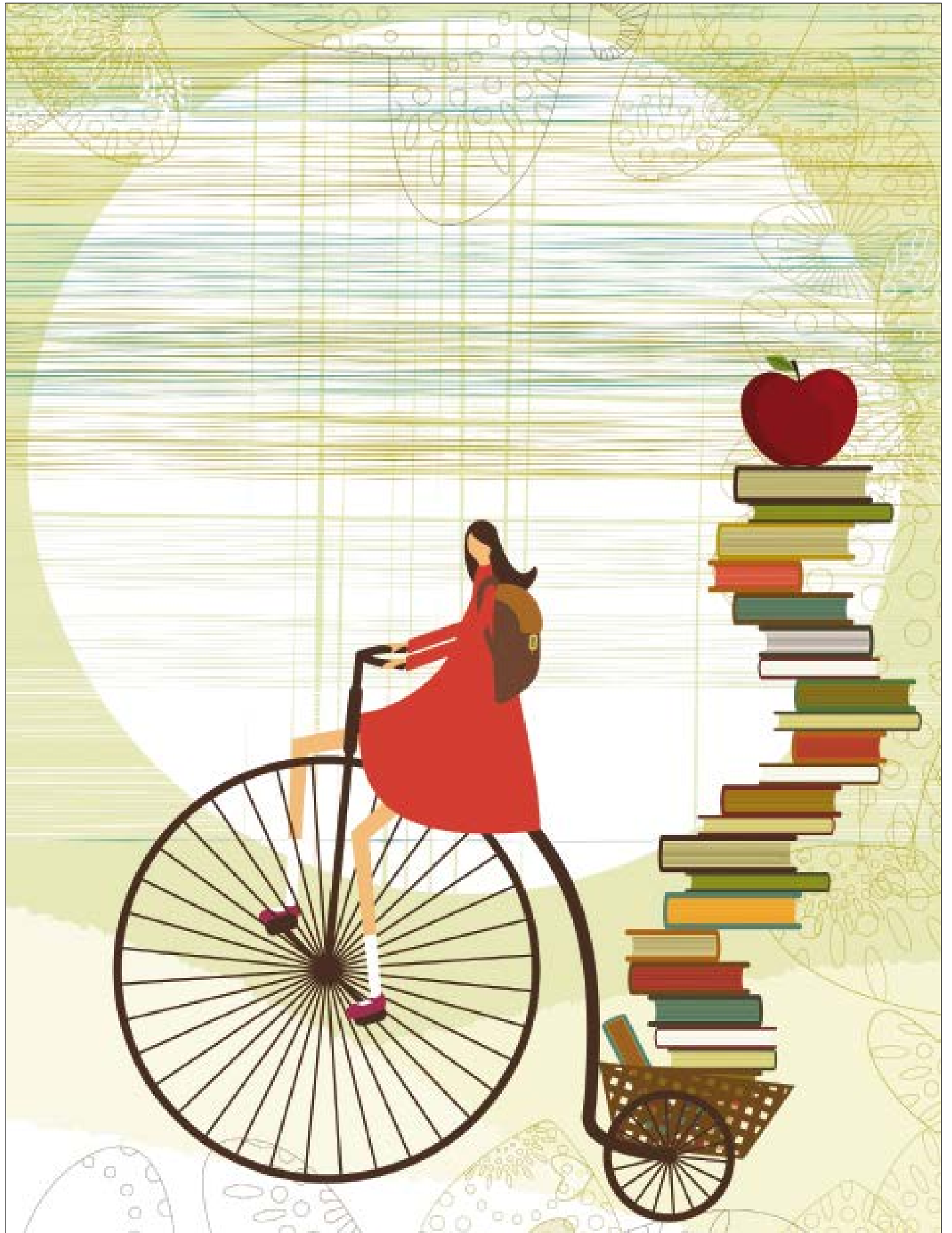


حب المغامرة وعشق الكتاب النشر

التوقيع التي يكاد معرض بيروت أن يكسر الرقم القياسي بها. في عيده الستين، يعيدنا اقترب موعد التقليد السنوي إلى الإشكاليات الداخلية والخارجية التي تضيق بعملية النشر، وسط تحضيرات بعض الناشرين للمعرض الأقرب إلى قلبهم، إذا ما قورن برقابة الخليج وارتفاع أسعار الإيجارات فيها من جهة أخرى. تحسم مديرة «دار الآداب» رنا ادريس الأمر سريعاً: «معرض بيروت هو الأول بالنسبة إلينا». تخصص الدار كل سنة عناوين جديدة لتطلقها في العاصمة، كما تقيم تواجيبها فيه. ورغم مصائب مهنة النشر، إلا أن المؤلفين والروائيين يفضلون النشر في بيروت، ربما بسبب نوعية الطباعة والحرفية في إنجاز الكتاب. عراقيل النشر التي تهدد الكتب والمهن الورقية، خرجت عن سيطرة الحكومات، فكيف بالناشرين. تكفي حوالي 70 ساعة بعد نشر الكتاب ورقياً، حتى تتسابق المواقع الإلكترونية على قرصنته. يدرك الناشر هذه الحقيقة جيداً، بقدر إدراكه للخسائر التي تنكدها الدار نتيجة هذه التعديلات. «دار الآداب» وجدت منفذاً مؤقتاً لهذا المأزق عبر توازن يحافظ على تنوع عناوينها التي راوحت بين 40 و50 إصداراً هذه السنة، لكن مع خفض عدد النسخ المطبوعة منها. تغطي عناوين الدار الأدب والسياسية والفكر، محاولة أن تجمع الأسماء المكرسة كنجمة واسيني الأعرج الذي يزور بيروت للمرة الخامسة، وبين الأسماء الشابة كمحمد محسن وزهراء عبدالله ومازن حيدر. مثل «الآداب»، تلجأ «دار التنوير» حالياً إلى خفض كمية نسخ الكتاب، يبدو هذا الحل بديلاً سريعاً لمواجهة سرقة الكتب وتزويرها، ثم بيعها بأسعار محروقة تقريباً، لا قدرة للدار مهما خفضت سعر الكتاب على منافستها. تضاعف ظواهر كهذه ضبابية مستقبل مهنة النشر التي تعاني أساساً من تصدعات مزمنة متعلقة بالكتاب والقارئ في العالم العربي. بأخذنا مدير «التنوير» حسن ياغي إلى هذه الإشكاليات الأولى لمهنة النشر، التي تبدأ بشبه انعدام نسبة القراء، وتضاف إليها التطورات الأخيرة في العالم العربي وانهايار بعض أسواق الكتب فيه. وبالنسبة إلى خصوصية بيروت، فإن «ظروفها وموقعها الجغرافي شاءتا أن تجعلها في هذا الموقع». لا يقتنع ياغي بالصورة الشكلية والتجارية لبعض المعارض، إذ يرفض الرأي القائل بأن معارض «الشارقة» و«أبو ظبي» و«الرياض»، سرقت ألق المعارض العربية الأخرى، لأن 70% من مبيعات تلك المعارض هي الروايات التجارية. وسط كل تلك الظروف المعادية لحركة النشر وسوقها العربية، نتيقن يوماً بعد يوم بأن هذه السوق مستمرة بفضل تجارب فردية، و«بالشغف والانتقائية بالعناوين»، كما يقول ياغي. يستعد الأخير للمعرض، من خلال 44 إصداراً جديداً، من دون حفلات توقيع أو أي أنشطة موازية أخرى. خلال هذه السنة، استضافت «التنوير» الروائي التونسي شكري المبخوت، لكن عدد الحاضرين لم يتعد العشرين... وقائع كهذه تشكل في قدرة نجات معرض بيروت وأي موعد أدبي آخر أمام شبه انعدام أي حركة ثقافية عامة طوال السنة. رشا الأمير مديرة «دار الجديد» واحدة من هؤلاء الشغوفين بالكتاب وب«صناعة الحرف» وفق تعبيرها،



Miriadna.com

للروائية الكويتية بثينة العيسى التي أصدرتها «الدار العربية للعلوم ناشرون» في بيروت. هذه الحرية هي ما يجعل من بيروت مكاناً مميّزاً لبعض الناشرين رغم غياب الحس المعاصر للمنظمين، والصيغة البائنة التي تجهز على أي طموح بهيكل حديثة. لا يمكن لهذا الركود بالطبع، أن تطرده بعض التغييرات الشكلية كاستخدام عربات التسوق، كما اقترح صحافي فذ على «النادي الثقافي العربي» في مؤتمر إطلاق المعرض قبل عامين، وطبعاً، لا بتكثيف حفلات

الذي يبلغ عامه الستين هذه السنة. أمام محدودية الأرباح، وانعدام إمكانية الحديث عن أي دور ثقافي بلامح واضحة في المعرض، تبقى الحرية هي نعمة بيروت الوحيدة. حرية باتت حلماً مستعصياً لمعارض مثل «الشارقة»، و«أبو ظبي»، و«الرياض» و«الكويت» التي تعتبر سوقاً مربحة ومتطورة بالنسبة إلى بعض الناشرين. هذه السنة، تفوقت الرقابة الكويتية على كل التوقعات، وهي تطالب بكتب بكما تماماً، مع منعها عدداً من الروايات مثل «خرائط الخية»

أخيراً، صار بعض الناشرين يجيدون الاعتراف بحجم بيروت الفعلي بعيداً عن هالتها المتوارثة. يجمع عدد منهم على أن استمرار المعرض، في أوضاع كهذه، هو أمر مرض وكاف. توقف معارض اليمن وسوريا والعراق، ومعوقات الحدود التي تحكم عملية التوزيع، وهبوط العملة في مصر، جعلت العاصمة اللبنانية مدينة تسلب مجدها من فئات الحروب. لكن هل يمكن فصل السوق البيروتية أساساً عن السوق العربية؟ هذا أحد الأسئلة التي يكرها الناشر مع اقتراب الموعد

روان عز الدين

لدى اسم بيروت - كما يُلفظ بنوستالجيا مفرطة - قدرة على تميع أكثر الثغرات الجدية المتعلقة بحال الكتاب أو النشر أو الحركة الثقافية فيها عموماً. لا يهم إن كان «معرض بيروت العربي الدولي للكتاب» مصاباً بانعدام الحركة منذ أعوام. على اسم بيروت وحده ربما يعول منظمو المعرض السنوي (النادي الثقافي العربي)، ودور النشر المشاركة، رغم اختلاف آراء الاثنين.